الأصل المحلي لأسماء المدن الجزائرية القديمة

الدكتورة/ جهيدة مهنتل
أستاذة محاضرة بمعهد الآثار جامعة الجزائر2

إذا تفحصنا الأسماء القديمة للمدن الجزائرية، فأننا نجد أنّ معظمها ذو أصل محلّي، يرتبط معناه أكثر بالبيئة الطبيعية التي وجدت بها هذه المدن. واحتفظت هذه الأخيرة في كثير من الأحيان باسمها المحلي خلال فترة الاحتلال الروماني، حيث أخذت فقط الشكل اللاّتيني دون التخلي عن المضمون المحلّي.

وقد حاول بعض الباحثون إعطاء أصولٍ وتفسيرات أخرى لبعض المدن منها مدينة قسنطينة (كرتا في الفترة القديمة).

فلماذا هذه المدينة؟

لأنّ كرتا كانت يوما ما عاصمة للملوك النوميديين، ومسرحا للكثير من الأحداث. وأنّ الاكتشافات الأثرية بها ذات الطابع البوني في الفترة النوميدية كانت كبيرة لدرجة أنّها صنّفت كثاني مدينة بعد قرطاجة في عدد اللوحات المكتوبة باللغة البونية. بل وأصبحت المدينة بعد سقوط قرطاجة هي المحافظة على الثقافة البونية.

وكلّ هذا التأثير البوني المميّز في مدينة قسنطينة، وهي مدينة داخلية جعل الكثير من الباحثين يتساءلون ما إذا كانت المدينة يوما ما مستوطنة فينيقية، قبل أن تخبرنا المصادر أنّها عاصمة الملوك النوميديين. ورأوا في صخرتها معجزتها لأنّ الصخرة تعطيها الوجه البوني ويحصّنها واد الرّمال طبيعيا.

وقد كتب الاسم القديم للمدينة بشكلين قرت X4P أي قرتا أو قرطا ويكون بهذا الشكل اسما من أصل بوني، معناه مدينة أو قرية على غرار الكثير من المدن ذات الأصل الفينيقي، والتي يبدأ اسمها بقرت أو قرط مثل ما هو الحال بالنسبة لمدينة (قرطشت) قرطاجة (المدينة الجديدة).وعندما كتب اسم المدينة بشكل آخر ك ر ت ن (ϟX4⊣) على بعض النقود النوميدية التي تحمل أساطير بونية بدأ الشك يدور حول أصل التسمية، هل هي محلية أو بونية[1].

([1])- Gsell(St), H.A.A.N, TV, P273 ; AAA, F17, n°126, P. 9.



يظهر على وجه القطعة باب المدينة واسمها بالبونية كرتن ϟХ4Ꮧ

ولاحظ برترندى Bertrandy.F الفرق بين الكتابتين، فالكتابة الأولـــى ق ر ت تبدأ بحرف القاف ويكون بذلك اسم المدينة من أصل بوني. أما الكتابة الثانية، فتبدأ بحرف الكاف وليس القاف مما يرجّح الأصل المحلي لها(1).

وقد حاول بعض الباحثين إيجاد اسما آخر لها قد يسبق اسم كرتا.

فقد حاول برجار (Ph Berjer)(2) وتبعه شارليي (R.Charlier)(3) اشتقاق اسما للمدينة من بعض العبارات التي ظهرت في كتابات معبد الحفرة، وهي س ر م ب ت م. حيث اقترح شارليي أن يكون س ر م معناه باب أو أبواب، وربط المعنى بأخاديد وخوانق وادي الرمال معللا ذلك بوجود في الألف الثانية، والأولى ق.م، مدينتين في بلاد كنعان تسمى سارام وأخرى ساران واسترسل أكثر شارلي في أفكاره التي احتاجت نوعا ما خياله ليعطى للمدينة صورة جزيرة حقيقية، تكون قد ذكرت البونيين الأوائل الذين أتوا المدينة بماضي آباءهم مستندا في ذلك إلى كتابة عثر عليها بمعبد الحفرة، يذكر فيها الهادي أصله الكنعاني، وقال أن س ر م بمعنى أبواب أو أخاديد وب ت م، عميقة أو كبيرة.

وطبعا تفسير شارليي هذا يجعل من كرتا مدينة بونية الأصل، وبذلك فلم تكن عاصمة ملوك النوميديين.

---

(1)- Bertrandy(F), Cirta, Dans Encyclopédie berbère 1994, P.1966.
(2)-Berjer (Ph), Actes du 11e congres des orientalistes, Paris, 1897. P.P. 286-8
(3)- Charlier®, « La nouvelle série des stèles puniques de Constantine », Dans Karthago, 1953. PP.6,38

ولقد انتقد قزيل تفسير شارليي[1] وحاول أيضا بيرتيي A. Berthier اعتبار قسنطينة مدينة بونية ووجد لها مكانا في الجغرافيا القديمة معزّزا اقتراحه بنص لبلين القديم Pline L'Ancien يتحدّث عن Metagonitis terra حيث اعتبر بارتيي أنّ بلين يقصد بها نوميديا، وأنّ قسنطينة كانت عاصمة هذه الأرض، والتي تكون هي أصل الكنفيدرالية السيرتية فيما بعد. وراح يعطي تفسيرات أخرى للنقود المكتشفة بالمدينة والتي تحمل الحرفين **م. ن** على أنّها ربما تعني **بعل آمون** وليس **ماسينيسا** وأنّ مدينة قسنطينة هي مدينة بونية لأنّها كانت سوقا وملتقى عدّة مدن[2].

وقد أثبتت الاكتشافات الأخيرة خطأ بارتيي في اعتبار Metagonitisterra هي نوميديا، حيث اكتشف كنز من القطع النقدية البونية بمدينة بجاية يؤكّد على أنّ هذه الأرض كانت تابعة لقرطاجة[3].

كما أنّنا نلاحظ أنّ الكتابات المؤرخة في معبد الحفرة المكتشف بمدينة قسنطينة والذي يحتوي على العديد من اللوحات البونية لا يذهب تاريخها إلى أبعد من القرن الثالث قبل الميلاد أي في نفس الفترة التي ظهر فيها اسم المدينة بشكل كرتا، وليس اسما آخر، سواء في المصادر اللاتينية -Cirta- أو الإغريقية كذلك.

كما أننا نعلم أن تسميات الكثير من المدن القديمة ارتبطت بواقعها الجغرافي.

فيكون منطقي أكثر أن يكون اسم المدينة القديم من أصل محلي بمعنى الصخرة أو الكهف المهجور.

حيث تقع المدينة فوق كتلة جيرية ترتفع نحو 650 م من على البحر تحيطها أخاديد واد الرمال في الجهتين الشمالية والشرقية أما الجهة الغربية فهي عبارة عن برزخ يأخذ شكل الصقر وقد اختيرت هذه الكتلة الصخرية التي تحتوي على 42 هكتار تقريبا لتكون الموقع الأول للمدينة وقلبها النابض الذي يستمرّ إلى حدّ الآن. أنظر الصورة 2.

وأيضا إذا أخذنا بعين الاعتبار كلمة كهف فإنّ المدينة تحتوي على العديد من الكهوف والمغارات التي مازال الكثير منها موجودا إلى حدّ الآن.

([1])- Gsell (St), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T IV, Paris, ,P. 175.
([2])- Berthier (A), La Numidie, Rome et le Maghreb, Paris, 1980, P. 173.
([3])- Laporte J.P, Le Metagonium et les échelles puniques, dans l'Algérie Numide, Paris, 2003, P. 51.

وبالنسبة لوضعية هذه المدينة فإنّ كلمة كرت يكون معناها أقرب إلى الصخرة التي تعتبر النواة الأولى لنشأتها وحصنا طبيعيا لها يعبّر في نفس الوقت عن هويّتها وعزّتها فقد صنّفت الصّخرة كتراث وطني في 1999 م.



منظر جوي للمدينة عن Google earth

ولقد ذكر اسم المدينة القديم في المصادر الإغريقية واللاتينية ضمن الأحداث الرومانية القرطاجية أي الحروب البونية خاصة منها الحرب البونية الثانية التي لعب فيها الملوك النوميديون دورا هاما.

ويعتبر تيت ليف (Tite live) أول من أشار إليها في القرن الثالث ق.م خلال الحرب البونية الثانية[28] .حيث ذكرها كعاصمة للملك سيفاكس Syphax

النص :

« Cirta Caput regni Syphacis erat »

أي كرتا كانت عاصمة مملكة سيفاكس

وقد كان ذلك حسب قزيل ما بين 206، 203 ق.م [29]

أيضا ذكرها الكاتب كعاصمة لماسينيسا بعد انتصاره

على سيفاكس حيث يقول :

[28] – Tite Live, Histoire romaine, XXX, 11,2, Traduit par Eugene Lassere, Paris, 1961.

[29] – Gsell(St), H.A.A.N , TI. P98

….Praegressus cirtam evocari ad
Colloquum principes Cirtensium jubet…….
Masinissa, praesidio Circa portas oppurtunaque
Moenium dimisso, necui fugae pateret exitus
, ad regiam occupandam citato vadit equo »

بمعنى عند وصوله كرتا، طالب ماسينيسا ملاقاة
أعيان المدينة ....وبعد أن وضع حراسا في الأبواب وفي كل
الأماكن الإستراتيجية حتى لا يستطيع احد الهروب، سارع إلى القصر.

وتكمن أهمية هذا النص في الإشارة إلى قصر بالمدينة، وأسوار بها وذكر تيت ليف المدينة عدة مرات ضمن أحداث الحرب بين سيفاكس وماسينيسا الذي كان حليف الرومان.

ويذكرها أيضا الكاتب أبيان (Appien) كعاصمة أيضا للملك النوميدي سيفاكس ثم ماسينيسا.[30]

النص :

Venerunt et a Cirta legati , dedentes
Syphacis regiam.

بمعنى رسل جاءوا إلى ماسينيسا لوضع بين يديه
عاصمة سيفاكس.

كما يشير أيضا الكاتب أنها كانت عاصمة ميكبسا ابن ماسينيسا

النص:

«Micipsae , natus maximo amantissimo
Quoque pacis assignata prae caeteris
Cirta regia»

بمعنى لميكبسا (الابن) الأكبر والمسالم جدا تعود
كرتا الملكية.

وهي طبعا إشارة إلى تقسيم المملكة بعد موت ماسينيسا في 148 ق.م تحت إشراف سكيبيو ايمليانوس (Scipio Emilianus) حيث عادت إدارة العاصمة كرتا لميكبسا الابن الأكبر لماسينيسا.

ثم يذكرها أيضا أبيان كعاصمة للملك يوبا الأول والملك بوخوس[31]

---

(30) – Appien, Roman history, Transled by H.White, edit, loeb class liber 27, liber 106, London 1912-.
(31) – Appien, guerre civiles II 96.

النص :

…..Sed postquam nuntiam et atuum
Maurorum regulum Bocchum occupasse
Cirtam, jubae regiam.

بمعنى عندما أعلن أن ملك آخر بوخوس، ملك

الموريين، قد احتل كرتا، عاصمة يوبا.

ويؤكد بومبنيوس ميلا (Pomponius Mela) على انها كانت يوما ما عاصمة الملك سيفاكس[32].

النص:

Urbium quas habet numidia
Maximae sunt : Cirta procul a mari nunc
Sittianorum Colonia, quondam regum domus
et syphacis quum foret opulentissima.

بمعنى، من بين المدن التي كانت تملكها نوميديا :

مدينة كرتا، مستعمرة الستيين، والتي كانت

فيما مضى المقر الملكي لسيفاكس– وكانت جد مزدهرة.

ويذكرها سالستيوس (Sallustius) عدة مرات في كتابه عن حرب يوغرطة وهذه بعض المقاطع التي تخص المدينة. كمدينة محاصرة، :[33]

النص

Igitur exercitu circumdato,
Summe ui Cirtam….

بوضع جيشه (ويقصد به يوغرطة) حول كل كرتا.

ويصفها قريبة من البحر.

INTerum haud longe a mari prope
Cirtam oppidum utriusque

الجيشان (جيش أدربعل ويوغرطة) توقفا

ليس بعيدا عن البحر، قرب كرتا.

وإنها محاطة بأسوار

(32) – Pomponius Mela, I, 30, Edition ckempf, leipzig, 1888, P81.
(33) – Salluste, la guerre de jugurtha, XXVI,9, XXI,2, XXIII,1. Traduit par Alfred ernont, les belles lettres. Paris, 1941.

النص :

Neque propter loci naturam cirtam
Armis expugnare potest, vallo ataque
Fossa moenia circumbat, turris extruit
Easque praesidiis firmat

بمعنى عندما أدرك يوغرطة أن طبيعة الأرض سوف تمنعه

من أخذ المكان بالقوة، أحاط اسوارها بخندق

وأقام أبراج مراقبة.

ويشيد الكاتب المجهول للحرب الإفريقية بجمالها [34]

النص :

P.sittius interim et rex Bocchus, Coniunctis
Suis Copiis, cognito regis jubae. egressu
Propius eius regnum copias suas admovere
, Cirtamque oppidum, opulentissimum
Eius regni adortus paucis diebus pugnandocapit

بمعنى ستيوس والملك بوخوس الذين وحدا قوتهما

عرفا ذهاب يوبا، اقتربا من مملكته، وهاجما كرتا

المدينة الأكثر ازدهارا في المملكة، وأخذاها

بعد أيام من القتال.

ويحدد بلين (Pline) موقعها[35]

Ab oppida cullu rusicada et
ab ea ad XL VIII in mediterrano Colonia
Cirta sittianorum cognomine….

تقع (داخل الأراضي) مستعمرة الستيين كرتا.

ويذكرها الكتاب الإغريق مثل :

بوليب (Polype) الذي يشير إليها بقوله وصل سكيبيو إلى كرتا ثلاثة أيام بعد موت الأمير [36] والمقصود هنا ماسينيسا الذي كان قد دعا سكيبيو للإشراف على توزيع أمور المملكة بين أولاده.

---

[34] – Bouvet(A), la guerre d'Afrique, dans collection des universités de France, Paris 1949 P20.

[35] – Pline l'ancien, Histoire naturelle Livre V, III, 22. Edition J. Desanges, les belles lettres, Paris, 2003.

[36]- Polybe, Histoire Romaine, XXX, VI, 16, 10. Edit, Wobst 1883.

ويشيد سترابون (Strabon) بجمالها وازدهارها خاصة في عهد ميكيبسا حيث يقول أن كرتا عاصمة ماسينيسا وخلفاءه، تقع داخل الأراضي الماسيلية، أنها مدينة قوية جدا، ومحصنة بكل شيء، بفضل خاصة ميكبسا الذي أسس مستوطنة إغريقية بها، وجعلها مستعدة لأي طارئ، حيث تمتلك عشرة ألف فارس، وعشرون ألف من المشاة.[37]

كما يذكرها ديودور الصقيلي في حديثه عن حرب يوغرطة حيث يقول أن يوغرطة أحاط مدينة كرتا يخندق، وكان يريد محاصرة المكان[38].

ويخبرنا أوراليوس فيكتور (Aurelius Victor) عن اسم المدينة في العهد الامبراطوري الثاني.

النص :

Cirtaeque oppido , quod
Obsidione Alexandri ciciderat,
Reposito ex ornatoque, nomen
Constantina inditum

بمعنى :

لكرتا التي كانت قد دمرّت
خلال حصار الكسندر، أعطي اسم قسنطينة
بعد أن أعيد بناءها وجمالها.[39]

ومثل ما نلاحظ، فإن المصادر الإغريقية واللاتينية، تتفق في شيء واحد وهو أن المدينة كانت عاصمة للملوك النوميديين وأنها كانت مدينة مزدهرة جدا ومحصنة رغم أن تحديد موقعها من طرف البعض منهم لم يأتي مطابقا لواقعها الجغرافي، مثل سالوستيوس الذي وصفها قريبة من البحر، نحن نعلم أن معظم هؤلاء الكتاب لم يزوروا المنطقة بأنفسهم، وكانوا يأخذون معلوماتهم من مصادر أخرى.و على غرار قسنطينة ،فان معظم المدن الجزائرية في الفترة القديمة لها اصل محلي.

---

(37) – Strabon, Géographe de Strabon, traduction Amadee Tardem, T, III. Paris 1882. P480

(38) – Diodore de Sicile, Livre XXX IV, bibliothèque historique, AT, Miot, Paris 1934

(39) – Aurelius Victor, De caesaribus, XL, 28, Edit, P.Dufraigne 1975.